

66

قصص

الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (10)

عجالة الكفار

بتأليف: د. عبد الحميد عبد القادر

وسوم: د. عبد الشافي سيد

إشراف: د. حمدي مصطفى





اشْتَدَّ غَيْظُ قُرَيْشٍ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ مَاضِيًا
فِي نَشْرِ دِينِ اللَّهِ ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّيْلَ مِنْهُ
بِسَبَبِ حِمَايَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَهُ ، وَرَفَضَهُ أَنْ يُسَلِّمَهُ
لَهُمْ ..

ولذلك حَرَضُوا صَبِيَانَهُمْ ، وَأَغْرَوْا
سُفَهَاءَهُمْ لِلنَّيْلِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَكَذَّبُوهُ
وَأَذَوْهُ ، وَاتَّهَمُوهُ بِالسَّحَرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْجُنُونِ ، وَلَمْ
يُبَالِ رَسُولُ اللَّهِ بِذَلِكَ ، بَلِ اسْتَمَرَ فِي نَشْرِ دِينِ اللَّهِ ،
وَتَحْقِيرِ آلِهَتِهِمْ وَأَصْنَامِهِمْ ..

ذَاتَ يَوْمٍ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ وَسَادَتُهَا فِي الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ، وَأَخَذُوا يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَقَالُوا :
- لَقَدْ سَفَهَ مُحَمَّدٌ عَقْلُونَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَابَ
دِينَنَا ، وَحَقَّرَ آلِهَتَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَلَقَدْ صَبَرْنَا
عَلَيْهِ طَوِيلًا ..

وَبَيْنَمَا هُمْ فِي مَجْلِسِهِمْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ،
وَأَخَذَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ أَخَذُوا يَشْتُمُونَهُ
وَيَسُبُّونَهُ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، لَكِنَّهُ لَمْ
يَرُدَّ عَلَيْهِمْ ، بَلِ اسْتَمَرَ فِي طَوَافِهِ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ فِي
الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، أَخَذُوا يَسُبُّونَهُ وَيَشْتُمُونَهُ ،

فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِمْ ، بَلِ اسْتَمَرَ فِي طَوَافِهِ ..

وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ شَتَمُوهُ وَسَبُّوهُ ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، وَقَالَ لَهُمْ :

- « أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ » ..

فَبَهَّتِ الْقَوْمُ وَسَكَتُوا ، مِنْ هَوْلِ الْمَفَاجَأَةِ ، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَتَحْرِيزًا عَلَى إِيْذَائِهِ ، أَخَذَ يَتَمَنَّى انْصِرَافَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، وَأَخَذَ يَقُولُ لَهُ :

- انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا ..
فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ، اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ وَسَادَتُهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

- ذَكَرْتُمْ مُحَمَّدًا ، حَتَّى إِذَا ذَكَرْكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ..

وَبَيْنَمَا هُمْ فِي مَجْلِسِهِمْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ،
لِيَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ هَجْمَةً رَجُلٍ
وَاحِدٍ ، وَأَحَاطُوا بِهِ ، وَأَخَذُوا يَقُولُونَ لَهُ :
- أَنْتَ الَّذِي تَعِيبُ آلِهَتَنَا ، وَتُسَفِّهُ عُقُولَنَا .. إلخ ..



فيقولُ رسولُ الله (ﷺ) :

« نعم ، أنا الذي أقول ذلك »

فأمسك بعضهم برداء رسول الله (ﷺ) ، وراحوا
يجذبونه بقوة ويضربونه .. فرأى أبو بكر (رضي الله عنه)
ذلك ، فقام يدفع الناس عنه ، وهو يبكي ويقول :

« اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .. »

فانصرفوا عنه ، وأصيب أبو بكر (رضي الله عنه) في رأسه ..
وكان أشد ما لقي رسول الله (ﷺ) ، أنه خرج يوماً ،
فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، سواء كان
حرّاً أو عبداً ، فرجع رسول الله (ﷺ) ، فتدثر
(تغطى بشياب ثقيلة) من شدة ما أصابه ، فأنزل الله
تعالى قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ۖ ﴾ ..

وذاث يوم مر أبو جهل برسول الله (ﷺ) ، عند الصفا ،
فآذاه وشتمه ، وسخر منه وعاب دينه

وَحَقَّرَ دَعْوَتَهُ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ
(ﷺ) ، وَأَنْصَرَفَ أَبُو جَهْلٍ فَجَلَسَ مَعَ قُرَيْشٍ عِنْدَ
الْكَعْبَةِ .. وَرَأَتْ ذَلِكَ جَارِيَةٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ ،
فَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى أَقْبَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ،
عَمُّ النَّبِيِّ (ﷺ) ، عَائِدًا مِنَ الصَّيْدِ ، وَهُوَ يَحْمِلُ قَوْسَهُ ،
وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ ، لَكِنَّهُ كَانَ إِذَا عَادَ مِنْ صَيْدِهِ
لَا يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ ، حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ .. وَكَانَ
حَمْزَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَشْجَعَ شَبَابِ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْجَارِيَةُ ،
قَالَتْ لَهُ :

- يَا أَبَا عِمَارَةَ ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مِنْذُ قَلِيلٍ
مِنْ أَبِي جَهْلٍ .. لَقَدْ سَبَّهُ وَأَذَاهُ وَنَالَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ،
وَلَمْ يَكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ (ﷺ) ..

فَغَضِبَ حَمْزَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) غَضَبًا شَدِيدًا ، فَتَوَجَّهَ إِلَى
الْكَعْبَةِ بَاحِثًا عَنْ أَبِي جَهْلٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ جَالِسًا بَيْنَ سَادَةِ
قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهَا ، رَفَعَ قَوْسَهُ وَضَرَبَهُ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ
فَشَجَّهَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

- أَشْتَمْتُ مُحَمَّدًا وَأَنَا عَلَى دِينِهِ ، أَقُولُ مَا يَقُولُ ؟ !

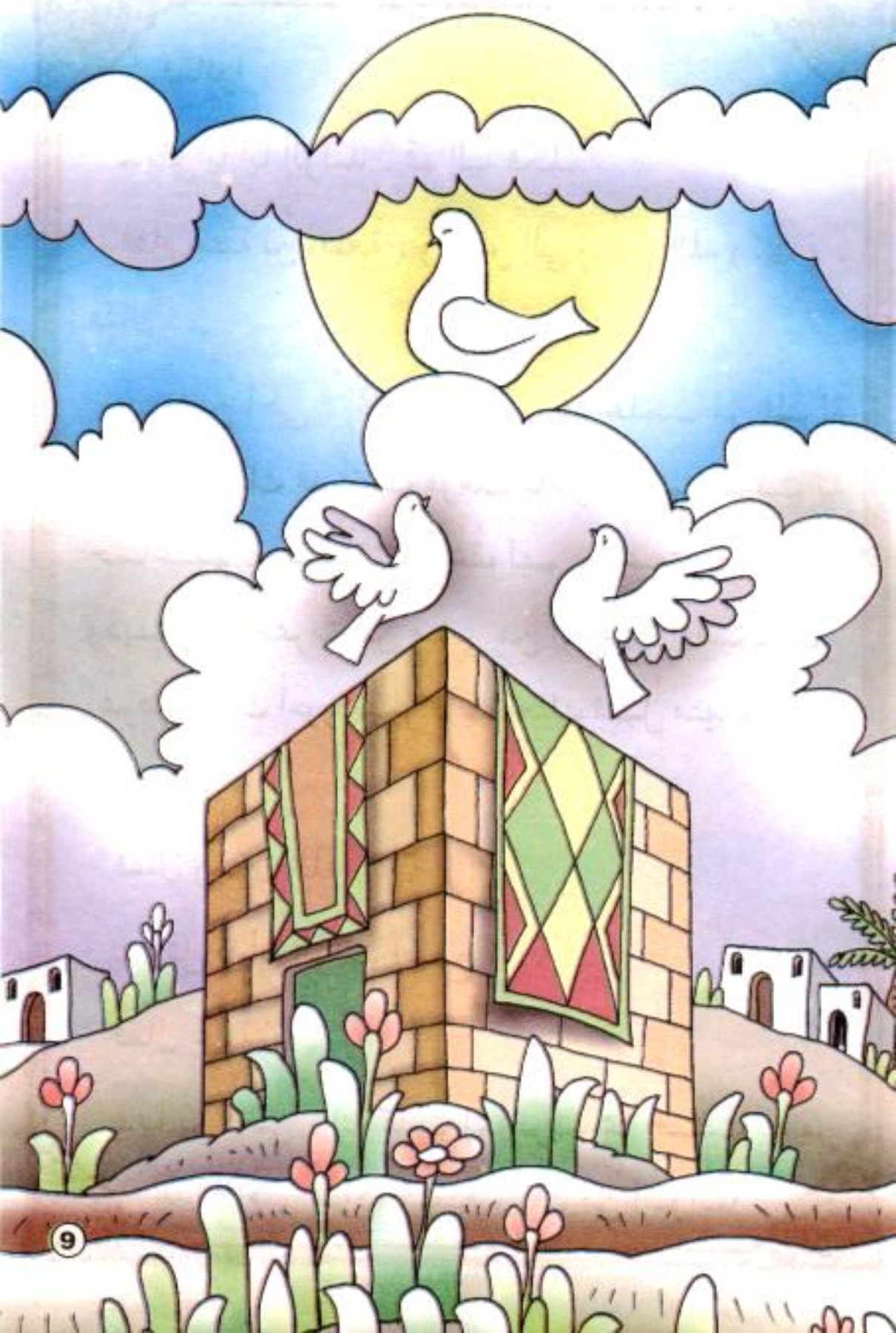
فَرَدُّ عَلَى ضَرْبِي لَكَ إِنْ اسْتَطَعْتَ ، فَقَامَ بَعْضُ الرِّجَالِ
لِنَصْرَةِ أَبِي جَهْلٍ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ :

- دَعُوا أَبَا عِمَارَةَ ، فَإِنِّي - وَاللَّهِ - قَدْ سَبَّتُ ابْنَ أَخِيهِ
سَبًّا قَبِيحًا ..

وَانْصَرَفَ حَمْزَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَعْلَنَ
إِسْلَامَهُ .. فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
الْإِسْلَامَ ، وَعَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ حَمْزَةَ لَنْ يَسْكُتَ عَنْ أَى
أَذَى يُوجُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَكَفُّوا عَنْ إِيْذَائِهِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ جَالِسًا مَعَ سَادَةِ قُرَيْشٍ
فِي الْمَسْجِدِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ
وَحْدَهُ ، فَقَالَ عَتَبَةُ :

- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَلْ أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمُهُ
وَأُعْرِضُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْأُمُورِ ، لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا ، فَنُعْطِيهِ
إِيَّاهُ لِيَكْفَ عَنَّا ؟ !



فقالوا :

- بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلّمه ..

فقام عتبة بن ربيعة ، وجلس إلى رسول الله (ﷺ) ،

فقال :

- يا بن أخى ، إنك منا حيث قد علمت من المنزلة

الرفيعة وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به

جماعتهم ، وسفّهت به عقولهم ، وعبت به آلهتهم

ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع منى

أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها

..

فقال رسول الله (ﷺ) :

- « قل يا أبا الوليد أسمع » ..

فقال عتبة :

- يا بن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من

هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا ،

حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما
تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ،
وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا .. إلخ ..

واستمر عتبة يعرض على رسول الله أمورا ، فلما
انتهى من كلامه ، قرأ عليه رسول الله (ﷺ) ، سورة
فصلت ، حتى انتهى من قراءتها ، وعتبة ينصت باهتمام ..

فلما انتهى الرسول (ﷺ) من القراءة قال :

« قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » .

فقام عتبة راجعا إلى قريش ، فسأله :

« ما وراءك يا أبا الوليد ؟ ! »

فقال عتبة :

« إني سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو
بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة .. يا معشر
قريش أطيعوني واطركوا هذا الرجل يمضي لما هو فيه ،
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ،

فَإِنْ تَصَبَّهَ الْعَرَبُ (يَقْصِدُ تَقْتُلُهُ) فَقَدْ خَلَّصَكُمْ
مِنْهُ ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ ، فَمَلِكُهُ مَلِكُكُمْ ، وَعِزُّهُ
عِزُّكُمْ ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ .. فَقَالُوا لَهُ :

— سَحَرَكِ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ ..

فَقَالَ عَتَبَةُ :

— هَذَا رَأَيْي فِيهِ ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ ..

وَاسْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ إِلَى
النَّاسِ ، فَأَخَذَ أَصْحَابُهُ يَتَزَايِدُونَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ،
وَاسْتَمَرَ سَادَةُ قُرَيْشٍ عَلَى كُفْرِهِمْ وَحَرْبِهِمْ لِأَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَاجْتَمَعَ سَادَةُ
قُرَيْشٍ وَأَشْرَافُهَا عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَأَرْسَلُوا الرَّسُولَ اللَّهَ
(ﷺ) ، فَجَاءَهُمْ سَرِيعًا ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
هَدَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ
عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَائِلًا :

— « مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ ،

وَلَا الشَّرْفَ فِيكُمْ وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ
بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ
أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَبَلَّغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي
وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ ،



فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه
على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم ..
فقالوا له :

- يا محمد ، فإن كنت غير قابلٍ منا شيئاً مما
عرضناه عليك ، فإنك تعلم أنه ليس من الناس أحدٌ
أضيقُ منا بلداً ، ولا أقلُّ ماءً ، ولا أشدُّ عيشاً ، فسل
لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه
الجبال التي ضيقت علينا ، وليوسع لنا في بلادنا ،
وليفجر لنا أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا
من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم
قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم
عما تقول ، أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك ،
وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من
الله وأنه بعثك رسولا كما تقول ..

فقال رسول الله (ﷺ) :

- « ما بهذا بُعِثْتُ ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ ،
وَقَدْ بَلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ
حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَى أَصْبَرٍ
لَأْمُرِ اللَّهُ تَعَالَى ، حَتَّى يَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » ..
فَقَالُوا لَهُ :

- فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ هَذَا لَنَا ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ ، سَلْ رَبَّكَ أَنْ
يُبْعَثَ مَعَكَ مَلَكًا يَصْدُقُكَ بِمَا تَقُولُ وَيُرَاجِعُنَا عَنْكَ ،
وَسَلَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ جَنَانًا (حِدَائِقَ) وَقُصُورًا وَكُنُوزًا
مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، يُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي ، فَإِنَّكَ
تَقُومُ فِي الْأَسْوَاقِ كَمَا نَقُومُ ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا
نَلْتَمِسُهُ (أَيْ أَنَّكَ تَعْمَلُ وَتَكْدَحُ مِثْلَنَا لِتَحْصُلَ عَلَى
رِزْقِكَ) ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَكَ وَمَنْزِلَتَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ
كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ ..

فقال رسول الله (ﷺ) :

« ما أنا بفاعلٍ ، وما أنا بالذى يسألُ ربَّهُ
 هذا ، وما بعثتُ إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيراً
 ونذيراً .. »

(يتبع)

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٥٤٤٦

الترقيم الدولي : ٤ - ٨٩٠ - ٣٦٦ - ٩٧٧

فصل الأنبياء

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(١١)

اليهود ينصحون الكفار

أحرص على اقتنائه

